

آداب الحجّ في كلام الإمام السجّاد (ع)



«الحجّ» وفادة طيّبة ومباركة على ربّ العالمين، حيث يتجلّى التوحيد في هذه العبادة مزيداً من التوجّه الصادق والتنطهّر المخلص والسموّ بالروح، وعقد العزم على مواصلة العمل الصالح.

فالحجّ عبادة متعدّدة الدروس والأبعاد، تنفتح بعقل الإنسان ومداركه على كلّ خير وعدل ورحمة وموقف حقّ، وعلى كلّ ما يبني الروح الجماعة المتضامنة التي تحسّ ببعضها البعض، وتعمل على تأكيد التكافل بينها كأُمّة متوحّدة باّ مستفيدة من كلّ طاقاتها.

ولهذه العبادة آثارها الروحية والمعنوية والأخلاقية الكبيرة في حياة الفرد والجماعة. قال أمير المؤمنين عليّ (ع): «والحجّ تقوية للدّين»، عندما يعيش الفرد والجماعة روح التسامح والوحدة والانفتاح والتواصل.

وفي الحديث عن الإمام الرضا (ع) قال: «إنّما أُمّروا بالحجّ لِعِلَّةِ الوِفادة إلى الله عزوجل»، إلى أن قال: «وَحَطَرِ النفس عن اللَّذَّات».

وفي رواية طويلة معروفة برواية الشبلي، يشير الإمام السجاد (ع) إلى الآداب المعنوية للحجّ.

قال الإمام السجاد (ع) لأحد أصحابه الشبلي: «حجّجت يا شبلي؟»، قال: نعم، يا ابن رسول الله. فقال (ع): «أَنَزَلْتَ المِيقَاتَ وتجرّدت عن مَخِيطِ الثَّيَابِ واغتسلت؟». قال: نعم. قال (ع): «فحين نزلت المِيقَاتَ، نويت أنْ أَكْثَرَ ثَوْبَ المَعْصِيَةِ، ولبست ثوب الطاعة؟»، قال: لا. قال (ع): «فحين تجرّدت عن مَخِيطِ ثِيَابِكَ، نويت أنْ أَكْثَرَ تَجَرُّدَ مِنَ الرِّبَاءِ والنِّفَاقِ والدُّخُولِ فِي الشَّبَهَاتِ؟»، قال: لا.

قال (ع): «فحين اغتسلت، نويت أنْ أَكْثَرَ اغْتِسَلَ مِنَ الْخَطَايَا والذُّنُوبِ؟»، قال: لا. قال (ع): «فما نزلت

المِيقَاتِ، وَلَا تَجَرَّدَتْ عَنْ مَخِيطِ الثِّيَابِ، وَلَا اغْتَسَلَتْ!». .

قال الإمام السجاد (ع): «تنطَّفت وأحرمت وعقدت بالحجِّ؟». قال: نعم. قال (عليه السلام): «فحين تنطَّفت وأحرمت وعقدت الحجَّ، نويت أنْ تُكَّ تنطَّفت بنور التوبة الخالصة □ تعالى؟»، قال: لا. قال (ع): «فحين أحرمت، نويت أنْ تُكَّ حرَّمت على نفسك كلَّ محرَّم حرَّمه □ عزَّ وجلَّ؟»، قال: لا. قال (ع): «فحين عقدت الحجَّ، نويت أنْ تُكَّ قد حللت كلَّ عقد لغير □؟»، قال: لا. قال (ع) له: «ما تنطَّفت ولا أحرمت ولا عقدت الحجَّ!». .

قال الإمام السجاد (ع) للشبلي: «أدخلت المِيقَاتِ وصلَّيت ركعتي الإحرام ولبَّيت؟»، قال: نعم. قال (ع): «فحين دخلت المِيقَاتِ، نويت أنْ تُكَّ بنية الزيارة؟»، قال: لا. قال (ع): «فحين لبَّيت، نويت أنْ تُكَّ نطق □ سبحانه بكلَّ طاعة، وصمتَ عن كلِّ معصية؟»، قال: لا. قال (ع) له: «ما دخلت المِيقَاتِ... ولا لبَّيت!». .

ممَّا قاله أيضاً الإمام السجاد (ع) للشبلي: «طفت بالبيت ومسست الأركان وسعيت؟»، قال: نعم. قال (ع): «فحين سعيت، نويت أنْ تُكَّ هربت إلى □، وعرف منك ذلك عَلام الغيوب؟»، قال: لا. قال (ع): «فما طفت بالبيت ولا مسست الأركان ولا سعيت!». . قال (ع) له: «أسعيت بين الصفا والمروة، ومشيت وتردَّدت بينهما؟»، قال: نعم. قال (ع) له: «نويت أنْ تُكَّ بين الرجاء والخوف؟»، قال: لا. قال (ع): «فما سعيت ولا مشيت، ولا تردَّدت بين الصفا والمروة!». .

وقال الإمام السجاد (ع) للشبلي: «هل عرفت بموقفك بعرفة معرفة □ سبحانه أمر المعارف والعلوم، وعرفت قبض □ على صحيفتك واطِّلاعه على سريرتك وقلبك؟»، قال: لا. قال (ع): «فما وقفت بعرفة!». .

وممَّا قاله (ع) للشبلي أيضاً: «فنويت عندما وصلت منى ورميت الجمار أنْ تُكَّ بلغت إلى مطلبك، وقد قضى ربُّك لك كلَّ حاجتك؟»، قال: لا. قال (ع): «فعندما رميت الجمار، نويت أنْ تُكَّ رميت عدوك إيليس وغضبتَه بتمام حجِّك النفيس؟»، قال: لا. قال (ع): «فعندما حلقت رأسك، نويت أنْ تُكَّ تطهَّرت من الأدناس ومن تبعة بني آدم، وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمُّك؟»، قال: لا.

قال (ع): «فعندما ذبحت هديك، نويت أنْ تُكَّ ذبحت حنجرة الطمع بما تمسَّكت به من حقيقة الورع، وأنْ تُكَّ اتَّبعَت سنَّة إبراهيم (ع) بذبح وُلده وثمره فؤاده وريحان قلبه، وأحييت سنَّته لمن بعده، وقربه إلى □ تعالى لمن خلقه؟»، قال: لا.

قال له الإمام زين العابدين (ع): «فما وصلت منى، ولا رميت الجمار، ولا حلقت رأسك، ولا أدَّيت نسكك... ولا تقرَّبت، ارجع فإنَّك لم تحجَّ!». . فطلق الشبلي يبكي على ما فرَّطه في حجَّه، وما زال يتعلَّم حتى حجَّ من قابل بمعرفة ويقين.

نتعلَّم من فحوى ما ورد عن الإمام السجاد (ع)، ونحن في زمن الحجَّ إلى □، أن نفد عليه ونحن مطهَّرون من كلِّ ما اكتسبناه من آثام، وأن نعقد العزم على عدم العودة إلى ارتكاب المعاصي عبر التوبة الخالصة النصوح، وأن نلِيس ثوب الطاعة الحقيقية □ في السرِّ والعلن، فنبتعد حقيقةً عن الرياء والعصية والنفاق، ونبتعد عن الشبهات في مواقفنا وعيشتنا وعقيدتنا، وأن نعاهد □ على التزام ما أمر والانتهاه عمَّا نهى، وأن نهاجر إلى □ ونهرب إليه من كلِّ ما يلوِّث نفوسنا ويسقط عزَّتنا، وأن نرجو دوماً رحمة □، فنسعى إليها بأفعالنا وأقوالنا، وأن نخاف □، فنراقب أنفسنا ونحاسبها، وأن نعي حقيقة وقوف □ على كتاب أعمالنا في السرِّ والعلانية.

نتعلَّم أيضاً التطهُّر من الذنوب، ورجم كلَّ تصرف شيطاني يمكن أن يصدر عنَّا، وأن نرمي أعداء □ بكلِّ ما نستطيعه من قوَّة، ونتمسَّك بالورع والتقوى وهجران الذنب والأطماع والأهواء، عندها قد نحقِّق بعضاً من معنويات عبادة الحجَّ التي تعدُّ من أهمِّ العبادات في الإسلام.

هذه من جملة وصايا الإمام زين العابدين (ع)، حيث يدعونا أئمتنا كي نتربى على القيم والمفاهيم
العبادية السليمة التي تفتح قلوبنا وعقولنا على الخير كلّهُ، والبركة كلّها، وعلى فضل الله ورضوانه
في الدُّنيا والآخرة. ►